

جديد الشيخ اليوسف: «السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): مظهر العظمة ومنتهى الكمال»

صدر عن دار الوارث للطباعة والنشر في كربلاء المقدسة - وهي تابعة للعتبة الحسينية المقدسة - كتاب جديد لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله أحمد اليوسف بعنوان: «السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): مظهر العظمة ومنتهى الكمال» الطبعة الأولى 1447هـ - 2025م، ويقع في 304 صفحات من الحجم الكبير بقياس وزيري «17/24سم».

اختصّت سيّدّة النساء فاطمة الزهراء  بمميزات وخصائص وصفات فريدة، وورد في مناقبها وفضائلها ومقاماتها ما لم يرد في غيرها من النساء، ويكفي في الدلالة على منزلتها العظيمة أنها أمّ الأئمة المعصومين، وأنها سيّدّة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي سيّدّة نساء المؤمنين، وسيّدّة نساء أهل الجنة، وسيّدّة نساء أهل الأرض وأهل السماء كما نصّ رسول الله  في أحاديث متواترة؛ وهذا يؤكد على أنها أفضل امرأة في الوجود على الإطلاق، وأكمل امرأة بلا منافس، وأن لها السيادة على النساء في الدنيا والآخرة.

إنها أعظم امرأة عرفتها الإنسانية، وخلصّ لها التاريخ الإنساني؛ فلا يوجد مثيل لها ولا نظير في صفاتها وسماتها وخصالها وكمالاتها المعنوية والمادية؛ فهي المرأة المتفردّة بكل صفات الكمال والجلال والعظمة، والفضل والشرف والسؤدد.

مجمع الكمال كلّها، وملتقى الفضائل والمحاسن والمحامد في جميع شؤونها الخاصة والعامة، فهي المرأة الطاهرة التقية النقية الزكية المباركة، وهي المثال البارز للشخصية الكاملة، وخير قدوة للمرأة الباحثة عن الرقي الأخلاقي والكمال الروحي والتكامل الإنساني.

وكانت حياة الصديقة الطاهرة - مع قصر عمرها الشريف - عامرة بكثير من الدروس والعبر، والآلام والآمال، والعلم والعمل، والعبادة والتهجد، والعطاء والتطوع، والأخلاق والآداب، والتربية والبناء، والإنجاز والتميز.

وقد تركت السيّدّة الزهراء  بصمات عظيمة في مسيرتها الحياتية المباركة، ولمسات مؤثرة في التربية الروحية والأخلاقية والإنسانية والعلمية؛ فهي شخصية مباركة في وجودها، وفي عطائها، وفي ذريتها، وفي

تسبيحها ، وفي علمها ، وفي عملها ، وفي كل شيء صادر عنها .

وهي كثر الخير والبركة الذي تكاثر منه النسل الطاهر لرسول ﷺ وتخصرت ذريته الطاهرة فيها ، ولم يقتصر هذا الامتداد على الاتساع والتكاثر المادي فقط ، بل كان امتداداً معنويّاً وروحياً وفكريّاً وأخلاقياً للنبي ﷺ لرسالة الإسلام ، فقد تولّد من هذا النسل المبارك الأئمة الطاهرون ، والعلماء الربانيون ، والقادة الإلهيون الذين حملوا راية الإسلام ، ودافعوا بقوة وبسالة عن أحكامه ومبادئه وقيمه وأخلاقه وآدابه .

وفي حياتها الزوجية عاشت مع أمير المؤمنين في حدود تسع سنوات في حياة زوجية ناجحة ومليئة بالسعادة والاطمئنان والوئام والانسجام رغم الظروف الصعبة التي مرّت بهما في حياتهما جرّاء تحمل أعباء الرسالة ، والوقوف مع رسول الله ﷺ في الشدة والمحنة ، والعمل على نشر رسالة الإسلام مع كل الصعوبات والعقبات والآلام الشديدة والقاسية .

وقد تحدّث المؤلف في هذا الكتاب في فصله الأول عن شخصيتها العظيمة ، وخصائصها الفريدة ، وكمالاتها السامية ، وتطرّق في الفصل الثاني عن سيرتها الروحية ؛ إذ عُرِفَت سيرة النساء بكثرة عبادتها ، وانقطاعها التام إلى الله سبحانه وتعالى ، ويؤكد المؤرخون على أنها كانت أعبد امرأة في تاريخ الإسلام ؛ إذ عُرِفَت بالاجتهاد في العبادة ، والانقطاع التام إلى الله عزّ وجلّ ، وكانت عندما تقف بين يدي ربها ترتعد فرائصها رهبةً وخشيةً وخيفةً منه سبحانه ، وكانت تسهر الليالي - وخاصة في ليالي الجمع والعشر الأواخر من شهر رمضان - في عبادة ربّها حتّى تتورّم قدمها من كثرة القيام والوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ .

ثم تناول المؤلف سيرتها الأخلاقية بشيء من التفصيل والبيان ، وذكر شذرات من صفاتها الأخلاقية البارزة ؛ كالرحمة ، والصّدق ، والصبر ، والحياء ، والعفاف ، والإيثار ؛ فكان من الصفات البارزة في شخصيتها الأخلاقية : صفة الرحمة والعطف والشفقة والرأفة ، ففي غاية اللّحمة والعطف ، وفي منتهى الشفقة والرأفة والرفقة .

ثم عرّج المؤلف بالحديث عن سيرتها التربوية ، ومنهجها في التربية والتوجيه والتأديب . ولأنها جسّدت في حياتها قيم الإسلام وأخلاقياته قوّاً وفعلاً وسلوكاً ، فكريّاً وروحياً ومنهجاً ؛ لذا فهي خير قدوة لكل امرأة مسلمة تبحث عن الارتقاء المعنوي والروحي والقيمي والتربوي والأخلاقي ؛ لأنها تمثّل الأنموذج الكامل للمرأة الكاملة ، فهي القدوة الحسنة والأنموذج الكامل للاقتداء والتأسي بها .

وأنجبت السيدّة الزهراء عليها السلام الطيبة والطاهرة التي لا تدانيها ذرية إنسانية أخرى في الإيمان والطهارة والسمو والشرف على مدى التاريخ؛ فهي قمة القمم، والمثل الأعلى في الفضيلة والتقوى والورع والصلاح.

وقد اعتنت السيدّة الزهراء عليها السلام بتربية ذريتها الطيبة تربية إيمانية مبدئية، تركز على القيم والمبادئ والأخلاق والعلم، فكانت تعدّهم للقيام بأدوار كبيرة في مستقبل الأيام، وتحمل مسؤوليات عظيمة في قيادة المجتمع والأمة. وفي سيرتها التربوية أيضًا جسّدت السيدّة الزهراء عليها السلام والستر والعفاف قوًى لا وفعلًا، قلبًا وقالبًا، سلوكًا وتجسيدًا، مطهرًا وجوهرًا؛ فكانت رمز الطهارة والنقاء والصفاء، وعنوان العفة والحشمة والحياء والأدب.

وتلجّز من عليها السلام مراتب الحجاب والستر والعفاف والعفة، لتُقدّمَ للنساء الأمة أنموذجًا متميزًا في التمسك بالحجاب والاحتشام، ولتُعطي درسًا في التربية الإيمانية، وتربية الفتيات في مختلف العصور على الحجاب والستر والاحتشام.

وتناول المؤلف في الفصل الأخير جوانب من سيرتها العلمية، فقد عُرفت السيدّة الزهراء عليها السلام بالمعرفة العميقة، والثقافة الواسعة، والبصيرة الناقبة؛ فقد كانت تتلقى العلوم والمعارف الإسلامية من أبيها رسول ﷺ مباشرة، ومن باب مدينة العلم زوجها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فكانت عالمة بالإسلام، وعارفة بأحكامه ومسائله ومفاهيمه وأخلاقه.

وهي أعلم نساء زمانها بشهادة المعاصرين لها، واشتهرت بعلومها الغزيرة، ومعارفها الزاخرة؛ فكانت الأقر على القيام بدور المعلم والمرشد والموجه والمربي لنساء عصرها اللاتي كن يتجمعن حولها ويتلقين منها أحكام الإسلام وعلومه.

وتعد السيدّة الزهراء عليها السلام أول امرأة إسلاميّة ألّفت كتابًا يحتوي على أحداث الحياة وما سيحدث فيها حتى يوم القيامة، والذي يطلق عليه (مصحف فاطمة)؛ كما كان رواية الحديث النبوي، وأبرز العالَمات وأجلّهن، وأكثرهنّ علمًا وفكرًا وثقافة ومعرفة وبصيرة ووعيًا.

واهتمت عليها السلام بالمعارف الإسلامية بين النساء، فكان لها مجلس علمي يحضره نساء المهاجرين والأنصار حتّى يأخذن منها أحكام الإسلام ومسائله، وأصول الدين ومفاهيمه. ومن علومها معرفتها بالقرآن الكريم وتفسيره وتأويله، وكان من أحب الأشياء إليها في حياتها تلاوة القرآن الكريم والأنس به، وتعليمه

لنساء عصرها، فهي أعلم النساء بالقرآن، وأعرفهن بصفاته وأسراره؛ لأنها كانت أقرب الناس للنبي ﷺ في دار مهبط الوحي والتنزيل.

ومن علومها معرفتها بفلسفة الأحكام، وقد بيّنت في خطبتها الفدكية شرطاً من ذلك؛ إذ تحتوي أحكام الدين وتشريعاته على علل وحكم، ومصالح ومنافع، ومقاصد وغايات تنتهي كلها في مصلحة الإنسان وفائده، وفي انتظام الاجتماع الإنساني وسلامته.

وتكشف علل التشريع في الإسلام عن فلسفة الأحكام ومقاصدها، كما تساعد على تكوين رؤية فلسفية لما وراء التشريع، إذ إن الأحكام -غالبًا- تتبع المصالح والمفاسد، وإنها تصب في نهاية المطاف في مصلحة الإنسان ومنفعته في الدنيا والآخرة؛ وقد أشرنا إلى بعض ما ذكرته سيرة النساء في هذا المجال.

ثم تطرّق المؤلف إلى بلاغتها وفصاحتها؛ فقد امتازت في خطبتها المشهورة التي ألقتها في مسجد رسول الله ﷺ بدرجات البلاغة والفصاحة والبيان؛ فهي بضعة المصطفى الذي كان أفصح من نطق بالصاد، وزوج المرتضى الذي كان سيرة البلغاء وأمير الفصحاء؛ فجاءت خطبها جامعة بين جزالة الكلام وبراعة السبك، وقوة الأسلوب وثناء المعنى، ووجازة الألفاظ وعمق المعاني والدلالات.

وقد قسم المؤلف كتابه عن حياة وسيرة سيرة نساء العالمين على خمسة فصول، هي:

الفصل الأول- السيرة الزهرية للزهرية السيدة عائشة رضي الله عنها والشخصية.

الفصل الثاني- السيرة الروحية للسيرة الزهراء ع.

الفصل الثالث- السيرة الأخلاقية للسيرة الزهراء ع.

الفصل الرابع- السيرة التربوية في نهج السيرة الزهراء ع.

الفصل الخامس- السيرة العلمية للسيرة الزهراء ع.

وختم المؤلف كتابها كتب المعادلة هنا . بذكر طائفة من قصار حِكَمها ومواعظها البليغة لتستلهم منها
الأمة الحكمة والبصيرة والوعي في حياتها الخاصة والعامة.